البستاني . طُبع في المطبعة عينها سنة ١٨١٠

٤٢٨ ﴿ سيغور ﴾ السيّدة بلَنش دي سيغور لها كتاب الحداثة المسيحيَّة مرتبةُ الكونتيس دي فلاڤيني . طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٥٩

٤٢٩ ﴿ سيكار ﴾ الاب كلوديوس اليسوعي (P. Cl. Sicard) المرسل في حلب والمتوفّى في مصر سنة ١٧٢٦ . ولف عدّة رسالات في غاديات مصر وآثارها له في مكتبتنا الشرقيَّة كتابهُ الذي ألّفهُ في حلب في ١٣ آذار سنة ١٧٠٩ « برهان هندسي يدلُّ على انما هي الكنيسة الواحدة الحقيقيَّة » في ثلثة اقسام بيّن فيها انَّ الكنيسة الرومانيَّة وحدها تستحقّ ان تُدعى كنيسة المسيح

٣٤٠ ﴿ سينيكالكي ﴾ الاب ليباريوس اليسوعي (P. L. Senechalchi) لهُ بين مخطوطات فقيد الكنيسة للسيّد يوسف السدوماني مطران طرابلس كتاب علم الخلاص الابدي وهو شرح على الرياضات الروحيَّة التي لاقديس اغناطيوس دي لويولا . قد استخرجها من الايطاليَّة الى العربيَّة الخوري بُقطر صليب المرسل القبطي احد ابناء مدرسة انتشار الايمان المقدّس في القرن الثامن عشر (لها بقية)

ذكر مولد الملحد ارنست رنان

(١٨٢٣—١٨٩٢)

تناقض رنان في آرائه

الاب س.م اليسوعي

في ٢٨ شباط المنصرم مرّت المائة الاولى على مولد الملحد الفرنسي الشهير ارنست رنان الذي لم يكتفِ بخلع ثوب الاكليروس المقدّس بل جحد ايمانه المستقيم وقضى اوفر حصّة من حياته في تقويض اركان ذلك الايمان في آلاف من قلوب مواطنيه وذلك بنشر عشرات من الكتب الكفرية ولاسيما مؤلفه الذي عنوانهُ «حياة يسوع»

(Vie de Jésus) . ومع ذلك فان لجنة التعليم في مجلس الشيوخ الفرنسي قد سمت من مدة في تهيئة اعياد رسمية تجيداً لذلك رجل السوء بمناسبة تذكاره المئوي . امّا نحن فاننا نتكر بتاتاً استحقاق رنان لهذه الاكرام العظيم وتأييداً لحكمنا هذا سنكتفي بايراد بعض اقوالهِ المبنية عن افكارهِ الكفريَّة ليعرضها قرَّاؤنا على محك انتقادهم تاركين لهم الحكم النهائي في من يستحق ذلك الملحد المجد المخلَّد او العار المؤبد

١ التناقض المتواتر في آراء رنان الدينيَّة اجمالاً

المزية الاولى المطلوبة من عالم حقيقي بل من كل انسان جدير بالاعتبار ان لا ينتقل من رأي الى ضده كالفراش الطائر من زهرة الى اخرى وكالبي براقش «كل يوم على لون يكون» . وبمقدار تناقض آراء كاتب ما ينقص اعتبارنا له . وامّا اذا كان التناقض مذهبهُ وديدنهُ الدائم فان ذلك الشخص المدعي العلم يسقط من اعيننا سقطة لا لَمَا لها ولا مُقيل له منها . والحال ان كتابات رنان على وجه العموم مشوبة بتلك الشائبة الكبرى واليك برضاً من عدّ الشواهد على ذلك . قال رنان في ضرورة الدين وايادية الجمة اقوالاً رائعة يليق باعظم الكتبة الكاثوليك بل بافصح الكهنة انفسهم ان يفوهوا بها . هاك بعض الامثلة منها :

«انَّ الفلّاح العاري عن الدين هو اقبح العجائب خارج من ميزة العقل البشري»

«قولوا للسذج ان يُغذّوا حياتهم بالتَّوق الى الحقيقة والجمال والصلاح الازلي فلا يدركون لهذه الالفاظ الطنانة معنى . امّا اذا قلتم لهم ان يحبوا الله تعالى ويجتنبوا اهانتهُ فانهم يفهمون ذلك القول ويدركونهُ دون عناء» (١) .

«ان قيمة الانسان تكون بقدر شعورهِ الديني الذي يستبقيه من تثقيفه الاول فتتعطَّر بهِ حياته كلها»

اجل تلك اقوال جميلة صائبة لكن رنان يهدم بيساره ما شاد بيمينه . أصغِ يا صاح الى ما خطَّته انفس الانامل التي كتبت الاقوال السابقة :

(١) هنا يسخر رنان بالذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى ويحاربون الابتعاضة عنه وعن الدين بتلك الالفاظ الطنانة الفارغة

«نجعل شرفنا في التصريح الثابت بحقيقة الواجب (يعني الواجب الديني والازلي). ومع ذلك فان عكس هـذا الرأي يكاد لا ينقص عن ارجحيّته. فانه يمكن صدور تلك الاصوات الباطنية (يريد بها اصوات الضمير) عن اوهام صالحة محفوظة بقوة العادة بل يمكن ان يكون العالم مشهداً بديعاً ماديا لا يُعنى باحوالهِ اي اله كان» [راجع كتابهُ «الاوراق المتفرّقة» (Feuilles détachées) ص ٣٩٤—٣٩٥]

يا له من كفر فاحش لا يقول بهِ الّا كلّ عادم الحياء!

قال ايضاً: «وايمُ الحق ان الفضيلة لَوَهمٌ الهي اوجدَتْه العناية، على انه يضاهي العشقَ في كونه نتيجة سحرٍ خارجٍ عن حـدود العقل يجرّنا جرًّا ويخدعنـا» [راجع كتابه «خُطب ومحاضرات» (Discours et Conférences) ص ١٨٠]

فان كانت الفضيلة وهماً سحريًّا على رأي رنان فكم بالاحرى الدين المقدس الذي لا اساس لها بدونه! ثم نستفهم ذلك الفيلسوف العميق الجاحد لوجوده تعـالى ماذا عنى بكون الفضيلة وهماً «اوجدَتْه العناية». أهي عناية الكاتب ام عنـاية غيره من البشر ام عناية الحيوانات بالانسان ام اخيرًا عناية عالم وهميّ عادم الحسّ والعقل يُعنى بابن آدم المزدان بهذين الكمالين!!

قال ايضاً ذاك العلّامة ذو العلم العجيب بل ذو الجهل المركّب:

«ان شعباً محافظاً على الآداب لهو والعلم على طرفي نقيض في اغلب الاحيان.. فان محافظـة الشعب على آدابه تقتضي من العقل ضحايا باهظة» (يعني انها تضـادّ مقتضيات العقل) [راجع كتابه «تاريخ الشعب الاسرائيلي» المجلد ٤ ص ٣٥٩—٣٦٠]

قال ايضاً: «بثّ الايمان بالفضيـلة في قلوب الشعب وحثّهُ على احترام الرجال العلماء والوقورين وزجرُهُ عن الثورات وحَمْل كل فردٍ ان يبقى في مركزه... هذا ما يُعدّ سياسةً صائبة» [راجع كتابه «المباحث العصرية» (Questions Contemporaines) ص ٢٤ من التمهيد]. زه زه! ذلـك على رأي المفكّر العظيم محض سياسة صائبة ليس للدين فيها نصيب مبنيّة على مجرّد العقل لكنه ايضاً محض كذب وتمويه على السذّج ورشّ غبار في اعينهم، كما يتضح من سياق كلام رنان

ومن درر اقواله!: «نحن معشر الحائزين على الفنّ والعلم والفلسفة لا حاجة لنا الى الكنيسة. اما الشعب فان الكنيسة هي آدابهُ وعلمهُ وفنّهُ... دونك مذهبي:

متى كنتُ في الشيعة اذهب الى القداس اما في المدينة فاني أسخر بالذاهبين اليهِ »
(راجع كتابهُ «مستقبل العلم» ص ٤٨٨ و ٤٩٠)

لعمري نِعْم المذهب فهو جدير بعالم كبير وانسان شريف جعل الراء دأبهُ والحبث ديدنهُ . وقد عمل رنان بذلك المبدأ النبيل اثناء اقامتهِ في قرية عمشيت لما سكن مدةً في لبنان مع اخته الشبيهة بهِ عقلاً ودينًا فكان رغم جحده الايمان يتردَّد الى الكنيسة ايام الآحاد والاعياد ليوهم اهلها الاتقياء انه على شاكلتهم !

٢ تناقض رنان في حكمهِ على لاهوت السيِّد المسيح

نكتفي بما اوردنا من اقوال رنان على الدين لإثبات حُكمنا بانَّ تضاربَ بل تناقُضَ آرائه عادةٌ راسخة في نفسهِ بل داء عضالٌ لا دواء لهُ . فلنبرهن الآن بمجرد ذكر اقوالٍ أخر له على مثل ذلك التناقض في تصريحاتهِ بخصوص هُويَّة سيدنا يسوع المسيح

ولنبدأ بعباراتهِ العظيمة لنادينا الالهي الواردة كلها في الفصل الاخير من كتابه الشهير «حياة يسوع» قال :

١ « ان الدين المسيحي المحض يظهر لنا حتى الآن بعد مضيّ ثمانية عشر جيلًا بسمة دين عمومي وابدي» (ص ٤٤٤) (١

٢ «ان تَرَفُّع يسوع الكامل فوق الارضيات هو اسمى ناموس للحياة المتجرّدة والفاضلة . يسوع قد خلق سماء الانفس الطاهرة وأثلة ابناء الله الكاملة والطهارة المطلقة والتجرّد الكلي عن ادناس العالم واخيرًا الحرّية . . . انَّ الاستاذ الاكبر للملتجئين الى هذا ملكوت الله السامي هو حتى الآن يسوع . هو اوّل من اعلن ملكوت الروح . هو اوّل من قال : — بافعالهِ على الاقلّ — « ملكوتي ليس من هذا العالم» ان تأسيس الدين الحقيقيّ هو عملهُ بدون مراء . فلم يبق من بعده مجالٌ الّا لتوسيع نطاق هذا العمل واخصابهِ . وعلى هذا النمط لقد اضحت لفظة « مسيحية » مرادفةً للفظة «دين» او كادت . فكلّ ما يفعلهُ الناس خارجاً عن ذلك التقليد المسيحي العظيم والصالح سيكون عقيماً . فانَّ يسوع قد اسس الدين بين البشر

١) قد ذكرنا الصحائف وفقًا للطبعة الفرنسية الرابعة

على مثل تأسيس سقراط للفلسفة وارسطاطليس للعلم . اجل قد وُجدت الفلسفة قبل سقراط والعلم قبل ارسطاطليس . ومن بعد سقراط وارسطاطليس قد ترقّت الفلسفة والعلم ترقياً عظيماً لكنه كله مبنيٌ على الاساس الذي وضعاه . هكذا قد اجتازت الفكرة الدينية ثوراتٍ كبيرة قبل يسوع وقد فتحت فتوحاتٍ عظيمة من بعده ومع ذلك فلم تخرج ولن تخرج عن الحدود الجوهرية التي حدَّها لها يسوع (ص ٤٤٥ و ٤٤٦)

٣ « ان هذا التأسيس العظيم هو حقًّا عمل يسوع نفسه . وحيث انه جعل البشر يسجدون له بهذا المقدار فلا بدَّ من ان يكون جديرًا بالسجود . فانَّ الحب لا يكون الّا بمعية شخص جدير بإضرامه . . . » (ص ٤٤٧)

فلنقف الآن هنيهة ونسأل القارئ اللبيب الخالي من الاوهام الفارغة : أليس قول رنان السابق تصريحاً جليًّا بالوهية السيد المسيح ؟ اسمع اقوالاً غيرها :

٤ « ان يسوع لا يظلّ للنوع البشري مصدرًا خالداً للنهضات الادبيّة » (ص ٤٥١)

القرائن تدلُّ هنا دلالة اكيدة على ان لفظة «ادبية» بمعنى «دينيّة»

٥ « ان كل البشر هم مجموع ذوات دنيئة انانيّة لا تفوق على الحيوانات بسوى كون انانيّتها اكثر تبصُّرًا . لكنَّ في وسط هذه الدناءة العامّة يوجد اساطين مرتفعة نحو السماء . واسمى تلك الاساطين هو يسوع الذي أعلم الانسان من اين جاء والى اين يجب عليه ان يسير . لقد انحصر في يسوع كل ما هو صالح وسام في طبيعتنا » (ص ٤٥٧ و ٤٥٨)

٦ « أيّةً كانت مظاهر المستقبل غير المنتظرة فلن يفوق احد على يسوع . ان عبادة الناس له ستجدّد شبابها على الدوام . انَّ الاساطير المتعلّقة به ستُجري دموعاً لا نضوب لها . ان آلامه ستثير عواطف القلوب وسوف تصرّح كل الاجيال بأنهُ لم يولد بين بني البشر شخص اعظم من يسوع » (ص ٤٥٩ وهذا القول خاتمة كتابه)

خلاصة اقوال رنان السابقة الذكر ان سيدنا يسوع المسيح هو مؤسس الدين الحقيقي (راجع النص الثاني) . ومنشئ الدين العمومي والابدي (النص الاول) . الذي لا بدَّ ان يبقى عقيماً كل دين خارج عنه (النص الثاني) . وانَّ يسوع جدير بالسجود (النص الثالث) . ومصدر خالد النهضات الادبيّة (النص الرابع) . وأسمى أساطين

العالم الحاوي كلّ ما هو صالح وسام في طبيعتنا (النص الخامس) . فلن يفوق احد عليه ابد الدهر (النص السادس)

فنسأل القارئ الذكيّ الفؤاد هل يستطيع كاهنٌ كاثوليكي قديس بل لاهوتيّ مبرّز ان يشهد على الوهية السيد المسيح وفائق سموّه على البشر اجمعين شهادةً اجلى واجمل من شهادة رنان (١ . على ان هذا الملحد المتطفل على مائدة العلم والفلسفة لا يزال ينقض بشماله ما اقامه بيمينه بل من غريب امره انه في مقام واحد ونصّ مفرد يجمع بمقدرته المدهشة (!) بين ايجاب قضيّة ما وإنكارها . وما الدليل على حكمنا هذا ببعيد . تجده في النص السادس الوارد آنفاً

قال رنان هنالك في مستهلّ كلامه : « ايّةً كانت مظاهر المستقبل غير المنتظرة فلن يفوق احد على يسوع » ، وفي الخاتمة : « سوف تصرّح الاجيال بانه لم يولد بين بني البشر شخصٌ اعظم من يسوع » . ولكن انتبه ايها القارئ الفطن كل الانتباه الى القول الذي دسّه خلسةً في درج الكلام بين القولين السابقين مازجاً السمّ بالدسم : « ان الاساطير المتعلقة به (اي بيسوع) ستُجري دموعاً لا نضوب لها »

يا لهُ من تناقض فظيع فاحش ! ان يسوع الذي اعلن رنان على رؤوس الاشهاد بانه اعظم ابناء البشر ليس فقط فيما انقضى من العصور بل وفي الاجيال المستقبلة حتى زوال العالم ، ان يسوع هذا ليس شخصاً تاريخيّاً نعلم سيرته وافعاله العلمَ اليقين ، كما نعرف احوال اسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ونابوليون الاول ، بل هو شخص تحول بيننا وبينه غيوم الأساطير الحالكة والروايات الخيالية التي لا سبيل لانقشاعها . فوالحالة هذه ما الفرق بين يسوع هذا الذي صوّرته مخيلة رنان وآلهة الاقدمين او غول العرب وعنقائهم ؟ وان كانت فضائل يسوع السامية ومعجزاته الفتّانة واعماله المتفرّدة بكمالها ضرباً من الاساطير فليجبنا الفيلسوف الكبير رنان كيف استطاع ان يضمّ الى نفس ذلك الرأي الغريب حكماً اغرب منهُ بدون قياس حيث اكّد بملء فصاحته

---

١) حين نشر رنان «حياة يسوع» قال نفس اخوانه الكفرة بصوت واحد : « ان كان المسيح سامي الكمالات بهذا المقدار فعبثاً حاول الكاتب انكار الوهيته وذلك لاستحالة وجود انسان مثل ذلك الانسان» تمّ القول وما هو الّا صدى قول نابوليون الاول صاحب العقل الفريد : « اني اعرف الناس حقّ المعرفة ، إنّ هذا (يعني يسوع) فليس هو انساناً محضاً »

الطائفة الفارغة « ان الاجيال سوف تصرّح بانهُ لم يولد بين بني البشر شخص اعظم من يسوع » ؟ ونعم الحق ان مجرّد تناقض فاحش كهذا لكافٍ بل فوق الكفاية لإسقاط رنان من عرش زعامته العقلية المختلسة !

ولم يقف رنان عند هذا الحد من البذاءة والقحة بل تعداه كثيرًا . فبعد ان صرّح بسمو فضائل السيد المسيح واضطر ان يعامل مع ذلك امكانَ نسبة يسوع الالوهيَّةَ لذاته مرارًا عديدة في حياته لم يجد وسيلة للجمع بين الامرين — مع انكاره كون المسيح الهًا — سوى الجمع بين سلامة النيَّة والغشّ الفظيع في شخص فادينا الالهي عزّ وجلّ

أرعِ سمعك ايها القارئ العزيز الى تلك الفلسفة الجديدة التي ابتكرها العلّامة رنان للجمع بين الماء والنار بل بين الظلام والنور . قال وبئس القول :

« ان الاعتقاد بشيء ما هو عندنا نحن الشعوب المجدّة (يعني الاوربيين) مُرادفٌ لصدق الانسان في نظر نفسه . امّا هذا الصدق في نظر النفس فقلّما تفهمهُ الشعوب الشرقيَّة (زه !) القليلة التعوّد على الفحص الدقيق . ففي ذمّتنا الصارمة (ما اصرم ذمّتك ايها الزنديق !) سلامةُ النيَّة والغشُّ كلمتان متناقضتان لا جامع يجمعهما (لعلّك تستطيع ذلك ، يا رنان ، فما اطول باعك في هذا الفنّ !) . امّا في الشرق فيوجد الفُ مهرب والف عطفة من احد الامرين الى الآخر (راجع « حياة يسوع » ص ٢٦٢ في الطبعة الفرنسيَّة الثالثة عشرة)

كذبتَ بل فيك ومستَ شرف الشرقيين ايها المتشدّق الوقح . ففي الشرق كما في الغرب — وإن كنت من اغرب شواذّ الغرب — لا يوجد مهرب واحد ولا عطفة واحدة تجمع ما بين سلامة النيَّة والغش . فهما امران متعاكسان متناقضان كالحقيقة والضلال او كالضياء والظلام او الفضيلة والرذيلة . بيد أنك انت وحدك تجاسرتَ على الجمع بينهما في فلسفتك الصبيانيَّة الخرقاء.

قال ايضاً كاتب «حياة يسوع» بعد تصريحه السابق بسمو فضائل فادينا الالهي : « كان (يسوع) ذا دعة كاملة مع السذّج على أنهُ كان يحتدّ امام الكفرة ولو كانوا اقلّ الناس طعناً به . فلم يكن حينذاك المعلّمَ الحليم الفائه باخطاب على الجبل (يريد خطاب يسوع في التطويبات الثمانية) وهو لم يصادف حتى ذلك الوقت ادنى

مقاومة او صعوبة . بل كانت الشهوة الكامنة في اعماق طبعه تسوقه الى اشدّ الشتائم ..... فلنهنئ انفسنا بانه لم توجد على عهد يسوع شريعة لمعاقبة الاهانة الملحقة باحدى طبقات الشعب » (راجع « حياة يسوع » ص ٣٣٧ الى ٣٣٩) يريد الفريسيين المرائين والكتبة المتكبرين الذين كانوا يخدعون الشعب بظاهر الدين الكاذبة فكشف السيد المسيح خبثهم ومكرهم . وما احرى رنان ان يُنظم في سلكهم !

قال ايضاً — وكأني به يتلاعب بقرّائه تلاعب القطّ بالفار : « كانت سُخريّاته (يسوع) المستحسنة وتهييجاته الخبيثة لخصومه تصيب دائماً قلوبهم .... فتلك السهام — وهي آيات الاستهزاء السامي (كذا) — تنطبع بخطوط نارية في صدر المُراني او المتعبّد الكاذب فهي سهام لا مثيل لها ، سهام جديرة بابن الله ! فانّ الله وحده يستطيع ان يقتل هذا القتل اما سقراط وموليار (Molière) فلا تلمس اسهمهم سوى بشرة خصمهم لماً خفيفاً . » (راجع « حياة يسوع » ص ٣٤٦ و ٣٤٧)

تأمل ايها القارئ الكريم كيف نسب الكافر رنان عدم الدعة (اي شراسة الخلق) والشهوة السيئة والشتائم الشديدة المستحقة لعقوبات الشرائع والتهييجات الخبيثة للخصوم الى شخص يصرح في هذا المقام نفسه بانهُ ابن الله بل الله ذاته! يا لها من فلسفة جديدة عميقة بعيدة المنال بل يا لها من زندقة فاحشة وجنون محض !

ولم تفرغ جعبتنا بعد هذا كلهِ من نصوص رنان المناقض بعضها بعضاً حتى في معرض كلام واحد وجملة واحدة كما لاحظ القارئ غير مرة في الصحائف السابقة . على اننا لا نريد ان نحتل قرّاءنا الكرام فوق ما حملوا حتى الآن من عبء تلك الاقوال الفارغة وان ازدانت بطلاوة التعبير وجمال التشابيه والاستعارات . قد برهن اختبار الاجيال ان الصفات الاخيرة السطحية كثيراً ما تسحر ذهن القارئ الساذج العاري عن العلم المتين فتجعله ينقاد الى اكاذيب الكاتب اللبق انقيادَ الاعمى الى دليله لكنها لا تنطلي على ذويّ العقول النيّرة

وعلى كل حال في نصوص رنان المذكورة تأييد جليّ لحكمنا السابق في هذا الزنديق الشهير نعني انهُ غير جدير بلقب عالم لتقلّبهِ البراقشي بين اجياب الامور وانكارها ولا بصفة رجل فاضل لانّ فساد نيته واضح في كثير من كتاباته ولانهُ

جدّف مرارًا على العزّة الالهيّة وهـدّ ركن الايمان بل الدين في قلوب آلافٍ من معاصريهِ فضلًا عن خلفهم

وان اراد القـارئ معرفة مقـدار اهتمام رنان بالحقيقة المحضة كما هي في نفس الاشياء فقد اوقفنا كاتب « حياة يسوع » على مذهبهِ تجاه تلك الحقيقة حيث قال :

« ان تسليم المرء نفسَه حسب الاوقـات لليقين والشك والسخريّة لآمَنُ طريقةٍ لإصابة الحقيقة على الاقلّ آونةً بعد اخرى » [راجع كتابه « الاوراق المتفرّقة » (Feuilles détachées) ص ٣٧٦]

وقال في شرحهِ على سفر الجامعة : « بئس للانسان الذي لا يناقض نفسَهُ مرّة في النهار » فبخٍ بخٍ من هذه الفلسفة الجديدة التي لم تتولّد الّا في دماغ المسوسين في عقلهم

فليحاكم الآن القارئ نفسه هل يستحقّ رنان ان يحتفل جميع الشعب الفرنسي النبيل احتفالًا فخيمًا بتذكاره المئوي أو ليس يجدر بالاحرى بمثله ان يبقى ابد الدهر نسيًا منسيًا في قبره على شبه الجيف المنتنة التي تفسد الجو لو اخرجوها من لحدها

اثر جليل للبطريرك اسطفانوس الدويهي

تاريخ المدرسة المارونيّة في رومية

سمّى بنشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ

مقدمة

ذكرنا في جملة مخطوطات السيد الـذكر البطريرك اسطفانس الـدويهيّ تاريخًا كتبهُ في تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية (الطلب عدد كانون الثاني ص ٣٤) . وقلنا هناك انّ هـذا التاريخ اخذتهُ يد الضياع الآكرًا منهُ في مكتبة سيادة المرحوم بولس مسعد رئيس اساقفة